مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثالث والثلاثون/ ربيع الثاني - جمادى الثاني ١٤٣١هـ . إبريل - يونية ٢٠١٠م

- التتبع المكاني والزماني لمعالم طريق الهجرة النبوية.
- حركة تأريخ المدينة المنورة في العقود الثلاثة من القرن الخامس عشر الهجري (١٤٣٠ -٤٠٠هـ)
- النص الرحلي في كتاب:" من نفحات الحرم" لعلي الطنطاوي تجلياته وجمالياته
- رعاية الله التربوية والعلمية للنبي ﷺ

المضامين التربوية
في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه
في غزوة تبوك

د. عبد الرحمن بن محمد الأنصاري
الأستاذ المشارك بقسم التربية
بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

المقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين والـصلاة والـسلام علـى أشـرف الأنبيـاء والمرسـلين سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن الطرق التي أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الاستفادة منها طريقة (القصة)؛ لما لها من تأثير فعال وإيجابي في التربية والتعليم؛ لذلك عرض القرآن الكريم عدداً كثيراً من القصص الحق، وكان من أهداف عرضه لهذه القصص أخذ العبرة والعظة منها قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]. فقصص القرآن الكريم - وهو قصص لأمور واقعة - يساق للعبر وإعطاء المثلات، وبيان مكان الضالين والمكذبين، ومنزلة المؤمنين المهديين إلى الحق، فهو قصص للعبرة من الواقع والأحداث،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وليس لمجرد المتعة وقضاء الوقت في قراءة القصة أو الاستماع إليها"[١].

أما القصة في السنة النبوية، فقد تعددت موضوعاتها وأهدافها فمنها ما يتصل بغرس العقيدة، ومنها ما يتعلق بالرسل والأنبياء، ومنها ما يعرض القيم الإسلامية، إلى غير ذلك مما تضمنته أحاديث رسول الله ﷺ.

ويدخل في هذا الباب أيضاً قصص الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ، فقد كانت أمثلة عملية لما كان يريد النبي ﷺ صنعه في هذه المواقف، التي تصاغ القصة فيما بعد لمن يروي ولمن يقرأ، وكان النبي ﷺ يهدف من ورائها ما عرضناه آنفاً في القصة النبوية.

ولقد حث كثير من علماء التربية على استخدام القصة في التعليم لفوائدها ومميزاتها المتعددة، يقول الهاشمي: "**للقصة أثر كبير في مختلف ميادين التربية والتعليم ولكنها أشد تعلقاً بالتربية الإسلامية؛ لأن الإسلام أشد اتصالاً بالإنسان في مشاعره وعقله وفي نمط حياته ومآله بعد الحياة الدنيا**"[٢].

ويقول في موضع آخر: " **فالقصة لها مقام عظيم في التربية الإسلامية؛ لأنها محببة إلى نفوس الأفراد سواء أكانوا أطفالاً أو شباباً أو راشدين؛ لما تتضمنه من فكرة ومغزى، وخيال وأسلوب وتنفيس عاطفي، وتمثيل للمعاني وتجسديها في أشخاص وأحداث وأدوار**"[٣].

وقصتنا في هذا البحث إحدى القصص التي تساق منها العبر والعظات، وقد تناقلتها كتب التاريخ والسير لأهميتها وفوائدها، ألا وهي قصة

(١) أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرى (القرآن)، ص ١٨٧.

(٢) الهاشمي، محمد عبد الحميد: الإعداد النفسي والتربوي لمدرسي التربية الإسلامية وعلومها الدينية، ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق، ١٥٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(**كعب بن مالك ﷺ في غزوة تبوك**)، ونحن بصدد استخراج الفوائد التربوية منها؛ لكي يكون لدى المربي ثروة تربوية وتطبيقات عملية يقف عندها متأملاً وواعظاً عند تلاوة هذه القصة أو عرضها.

غزوة تبوك، تسميتها، ووقوعها، وأهميتها، وتعداد جيشها.

أولاً: سبب تسمية الغزوة باسم تبوك:

سميت غزوة تبوك نسبة إلى الموضع الذي حدثت فيه، وسميت تبوك؛ لتسميتها في الأحاديث الصحيحة، ومنها حديث مسلم: **إنكم ستأتون غداً عين تبوك**.

وقيل: سميت بذلك لقوله ﷺ للرجلين الذين سبقاه إلى العين: **ما زلتما تبوكونها منذ اليوم**. قال ابن قتيبة: "**فبذلك سميت تبوك، والبوك كالحفر**[1]".

أخرج مسلم بسنده عن أبي الزبير المكي، أن أبا الطفيل عامر بن واثلة أخبره، أن معاذ بن جبل أخبره، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوم أخّر الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال:" **إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، إنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي**" فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مستما من مائها شيئاً؟**» قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من

(١) ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري، (٨/٨٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاد فيها فجرت العين بماء منهمر، أو قال: غزيراً - شك أبو علي - أيهما قال. حتى استسقى الناس، ثم قال: «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى هاهنا قد ملئ جناناً**».[1]

ثانياً: سبب وقوع غزوة تبوك:

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: "**باب غزوة تبوك:**

عن عمران بن حصين، أنه شهد عثمان بن عفان ﷺ أيام غزوة تبوك في جيش العسرة، فأمر رسول الله ﷺ بالصدقة، والقوة والتأسي، وكانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل أن هذا الرجل الذي خرج ينتحل النبوة قد هلك وأصابته سنون فهلكت أموالهم، فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له: الضناد، وجهز معه أربعين ألفاً، فلما بلغ ذلك نبي الله ﷺ كتب في العرب، وكان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض، فلم يكن للناس قوة، وكان عثمان بن عفان قد جهز عيراً إلى الشام يريد أن يمتار عليها، فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية، فحمد الله رسول الله ﷺ، وكبر الناس، وأتى عثمان بالإبل، وأتى بالصدقة بين يديه، فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعد اليوم[2]".

يقول الحافظ ابن كثير: "**سنة تسع من الهجرة ذكر غزوة تبوك في رجب منها قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: الصحيح (٣٩٠/١١) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ح(٤٢٢٩).

(١) الهيثمي، نور الدين: مجمع الزوائد، (١٩١/٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة/٢٨-٢٩].

روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم: أنه لما أمر الله تعالى أن يُمنَع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره، قالت قريش: لتنقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. قلت: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله. وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة/١٢٣]. فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الروم عام تبوك وكان ذلك في حر شديد وضيق من الحال، جلّى للناس أمرها، ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه فأوعب معه بشر كثير[(١)]".

ثالثاً: السنة التي وقعت فيها غزوة تبوك:

أخرج الحافظ ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال: "لبث رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف ستة أشهر، ثم أمره الله بغزوة تبوك، وهي التي ذكر الله ساعة العسرة، وذلك في حر شديد، وقد كثر النفاق، وكثر أصحاب الصفة، الحديث[(٢)]".

يقول الحافظ ابن كثير: "سنة تسع من الهجرة ذكر غزوة تبوك في

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: السيرة النبوية، ٤/٤.

(٢ ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ دمشق، (٤٠٨/١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رجب منها... قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب - يعني من سنة تسع - ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم[(١)]".

رابعاً: أهمية الغزوة:

من خلال النظر في هذه الغزوة تتضح أهميتها في نشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية؛ لتسهيل إرسال الدعاة إلى بلاد الشام ومصر، وأيضاً تأديب فلول الروم التي كانت متواجدة في شمال الجزيرة العربية وتجمع الجموع لدحر المسلمين، فقد كانت هذه الغزوة بمثابة التأديب لهم وإظهار قوة وعزة الإسلام، وتأمين الخطر الذي كان يهدد مركز الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، كذلك ما خرج المسلمون فيه من هذه الغزوة من دروس وعبر، وأهم حوادثها: تخلف المنافقين، وقصة كعب وتخلفه عن رسول الله ﷺ.

خامساً: عدد جيش غزوة تبوك:

شهدها رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس، وأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة السالمي وأبو ذر، وهرقل يومئذ بحمص.[(٢)]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "**كان عدد جيش الصحابة ﷺ قريباً من ثلاثين ألفاً، وتخلف آخرون، فعاتب الله من تخلف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين، ولامهم ووبخهم وقرعهم أشد التقريع، وفضحهم أشد الفضيحة، وأنزل فيهم قرآناً يتلى، وبيّن أمرهم في سورة براءة، كما قد بيّنا ذلك مبسوطاً في التفسير.**

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: السيرة النبوية، ٣/٤-٤.

(٤) ابن سيد الناس، محمد: عيون الأثر في فنون المغازي والسير، (٢٥٤/٢).

وأمر المؤمنين بالنفر على كل حال، فقال تعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [التوبة/٤١-٤٢] ثم الآيات بعدها. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة/١٢٢] فقيل: إن هذه ناسخة لتلك، وقيل: لا.

فذكر الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كلٌ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه.

وكان رسول الله ﷺ قلَّ ما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بيّنها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه؛ ليتأهب الناس لذلك أهبتهم، فأمرهم بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم. فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة: «يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك». ففي الجد أنزل الله هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة/٤٩]. وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكّاً في الحق وإرجافاً بالرسول ﷺ، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة/٨١-٨٢]"[1].

وأخرج مسلم بسنده عن الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عمه، عبيد الله بن كعب، وكان قائد كعب حين أصيب بصره، وكان أعلم قومه، وأوعاهم لأحاديث أصحاب رسول الله ﷺ قال: سمعت أبي كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم يحدث أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين، وساق الحديث، وقال فيه: وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير، يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ.[2]

ترجمة سيرة كعب بن مالك رضي الله عنه وقصته في غزوة تبوك.

أولاً: ترجمة سيرة كعب بن مالك رضي الله عنه.

أ / اسمه ونسبه:

كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن سواد ابن عم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن. أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة. من بني سلمة أيضاً.[3]

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: السيرة النبوية، ٤/٤-٥.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: الصحيح ١٣/٢٤٥، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح ٤٩٧٣.

(١) ابن حجر، أحمد بن علي: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/١٨٧-١٨٨)، ابن حجر، أحمد بن علي: الإصابة =

ب / حياته ونشأته:

شهد العقبة في قول الجميع، واختلف في شهوده بدراً، والصحيح أنه لم يشهدها، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة، آخى بينه وبين طلحة بن عبيد الله حين آخى بين المهاجرين والأنصار. ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ إلا في غزوة بدر وتبوك، أما بدر فلم يعاتب رسول الله ﷺ فيها أحداً تخلف؛ للسرعة، وأما تبوك فتخلف عنها لشدة الحر. وهو أحد ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة ١١٨]، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨]، فتاب عليهم. والقصة مشهورة، ولبس كعب يوم أحد لأمة النبي ﷺ، وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمته، فجرح كعب يوم أحد إحدى عشرة جراحة، وكان من شعراء رسول الله ﷺ.(١)

وقال ابن سيرين: "**قال كعب بن مالك بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما:**

قضينا من تهامة كل وتر... وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

تخبرنا ولو نطقت لقالت.....قواطعهن دوساً أو ثقيفا

فلما بلغ ذلك دوساً قالوا: خذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل

= (٨/٣)، الزركلي، خير الدين: الأعلام (٢٢٨/٥).

(٢)) ابن حجر، أحمد بن علي: أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٨٧/٤-١٨٨)، ابن حجر، أحمد بن علي: الإصابة (٨/٣)، الزركلي، خير الدين: الأعلام (٢٢٨/٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بثقيف[١]".

ج / وفاته:

عمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة[٢]، ومات بالمدينة قبل الأربعين من الهجرة.[٣]

وتوفي كعب بن مالك في زمن معاوية سنة خمسين. وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره. يعد في المدنيين.[٤]

ثانياً: قصة كعب بن مالك ﷺ في غزوة تبوك.

أخرج مسلم في صحيحه: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح (مولى بني أمية)، أخبرني ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام. قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب كان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب بن مالك: **لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها**

(١) ابن حجر، أحمد بن علي: الإصابة، (٨/٣).

(٢) الزركلي، خير الدين: الأعلام (٢٢٨/٥).

(٣) الحافظ المزي، يوسف بن الزكي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٩٣/٢٤-١٩٥).

(٤) ابن عبد البر، أبو عمر القرطبي: الاستيعاب (٤١١/١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد بذلك الديوان، قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله ﷻ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لمزه المنافقون، فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول اللهﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي، قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي، قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه بردّ السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. فعدت فناشدته، فسكت. فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً فقرأته، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء، فتياممت بها التنور فسجرتها بها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنك» فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، قال: فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا، قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷻ منا قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم قبلي وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: **فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: «لا بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك، قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أمسك بعض مالك فهو خير لك» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت،** قال: **فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله ﷻ:** ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة/١١٧-١١٩].

قال كعب: **والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد وقال الله:** ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة/٩٥-٩٦].

قال كعب: **كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى فيه، فبذلك قال الله ﷻ:** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة/١١٨]. **وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.**

وحدثنيه محمد بن رافع، حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب بإسناد يونس عن الزهري سواء، وحدثني عبد بن حميد، حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري، عن عمه محمد بن مسلم الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبيد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وساق الحديث وزاد فيه على يونس: **فكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة،** ولم يذكر في حديث ابن أخي الزهري أبا خيثمة ولحوقه بالنبي ﷺ.

وحدثني سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا معقل وهو ابن عبيد الله عن الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عمه عبيد الله بن كعب، وكان قائد كعب حين أصيب بصره، وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث أصحاب رسول الله ﷺ قال:

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سمعت أبي كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم يحدث أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين، وساق الحديث وقال فيه: **وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمعهم ديوان حافظ**[1].

الدروس التربوية المستفادة من قصة كعب بن مالك رضي الله عنه.

إن قصّة الثلاثة الذين خُلّفوا في غزوة تبوك قد اشتملت على فوائد جمة، وحوت حكماً عظيمة، تبرز من خلالها صلابة مجتمع الصحابة الذي كوّنه النبيّ صلى الله عليه وسلم فأتقن تكوينه، وربّى أفراده فأحسن تربيتهم، وما أحوج الجيل الحاضر إلى نماذج يقتدى بهم ممن تخرّج من هذه المدرسة النبوية التربوية العظيمة، الذين هداهم الله للإيمان وزينه في قلوبهم، فكانوا منارة هداية للأجيال التي تأتي من بعدهم، لذا فمن الأهمية بمكان دراسة سير هؤلاء، والوقوف على حوادث حياتهم، واستنباط الفوائد التربوية من قصصهم، واستلهام الدروس والعبر منها.

وفيما يلي جملة من تلك الفوائد التربوية الثرية التي تعجّ بها قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه:

الفائدة الأولى: التشجيع المادي وأثره في التربية:

لا شك أن التشجيع والتحفيز متطلب من متطلبات العملية التربوية، بل هو عنصر مهم في العملية التربوية. وللتشجيع أثر قوي في تحريك وفعالية المجتمع كاملاً بمختلف فئاته وأعماره، ودفعه لتحقيق الغايات المطلوبة

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: الصحيح ٢٤٥/١٣، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح ٤٩٧٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

منه، إنه يوّلد في النفس الرغبة والاستعداد للعمل كما يمنح الفرد - صغيراً كان أو كبيراً - العطاء السخي والقوة والطاقة، وله أثر كالسحر في حفز الهمم والارتفاع بها وتفجير الطاقات الكامنة في نفس الإنسان.

ومن التشجيع المادي الذي نستفيده من قصة كعب بن مالك إباحة الغنيمة لهذه الأمة، ويبرز هذا المعنى في قول كعب رضي الله عنه واصفاً خروج الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه: **((خرجوا يريدون عير قريش))**.

وهذا مما خص الله سبحانه وتعالى به أمة الإسلام، تشجيعاً لهم على الجهاد في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم: **((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة))**.[(١)]

الفائدة الثانية: شكر النعمة والتحدّث بها دون الفخر والرياء.

وشاهد ذلك قول كعب رضي الله عنه: "**ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت أذكر في الناس منها**".

والله سبحانه وتعالى إذا أنعم على عبده نعمة يحب أن يرى أثرها عليه، قال تعالى: (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) [الضحى١١]، وقال صلى الله عليه وسلم: **((إن الله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))**.[(٢)]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، كتاب التيمم، رقم الحديث: (٣٢٨)، والنيسابوري، مسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث: (٥٢١)

(٢) ابن حنبل، أحمد: المسند، مؤسسة قرطبة – القاهرة، (٣١١/٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومما يمكن استفادته تربوياً من ذلك: أنه لا مانع من أن يقوم المربي أو المعلم بذكر شيء من محاسنه ومآثره وسيرته العلمية أمام المتربين والتلاميذ؛ لكي يقتدوا به في أعماله وإنجازاته، ويجب أن يحذر المربي والمعلم من الكبرياء والفخر والاستعلاء ومدح النفس، بل يكون ذلك من باب التحدث بنعم الله عليه دون غيره.

ومن التحدّث بنعم الله ـ أيضاً ـ أن يحسن المعلم هندامه ومظهره بعيداً عن الإسراف ولكن في حدود الاعتدال، فذلك أدعى للقبول والتقدير له، وهذا ليس من الكبر والخيلاء المنهي عنهما، فعن أبي هريرة؛ **أنّ رجلاً أتى النَّبيّ ﷺ وكان جميلاً فقال: حُبِّب إليّ الجمال، وأُعطيتُ ما ترى! حتّى ما أحبّ أن يفوقني أحدٌ، إمّا قال: بشراك نعل. وإمّا قال: بشِسع أحمر. الكِبر ذاك؟ قال: ((لا؛ ولكن الكِبْر مَنْ بَطَر الحقّ،[1] وغَمِط النَّاس[2]))**.[3]

الفائدة الثالثة: أهمية التربية بالقدوة:

وشاهد ذلك قول كعب: **"هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي"**.

---

(١) بطر الحق أي: التكبر عن الحق وعدم قبوله. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨١.

(٢) غمط الناس أي: احتقارهم، والطعن فيهم، والاستخفاف بهم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٦٧٩.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (٤٠٩٢). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (١٩٩٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويمكن إجمال أهمية التربية بالقدوة[١] في النقاط التالية:

١- حاجة الناس عامة إلى القدوة، وذلك نابع من غريزة كامنة في نفوسهم جميعاً وهي غريزة التقليد.

وهذه الغريزة (التقليد) أوضح ما تكون لدى الأطفال، فهم بطبعهم يميلون إلى التقليد والمحاكاة، ولا شك أنّ أكثر من يحتكون بهما ويحاولون تقليدهما الوالدين، وفي يقينهم أنّ ما يفعله هؤلاء الكبار هو الصواب وهو الذي يجب أن يكون، ولذلك يجب أن يحرص الكبار على أن يكونوا قدوة حسنة لهؤلاء الأطفال.

٢- المتربون في مراحل حياتهم المبكرة - غالباً - لا يستوعبون الكلام النظري، فلا يتأثرون به بقدر تأثرهم بما يشاهدونه ويرونه، فالمُشاهَد المرئي أسهل في الفهم والتطبيق، فترى الطفل يحاكي ما يراه من تصرّفات الآخرين من الأطفال الذين يراهم أو يخاطبهم.

٣- القدوة العمليّة تكتسب أهميّتها - أيضاً - فالمثال الحيّ تترجح إمكانية استيعابه من قبل الطفل ومن ثم تطبيقه كما يجب وكما ينبغي، في حين قد تظلّ النصائح الشفهيّة نظرية يجهل الطفل كيفية تطبيقها، أو يخطئ في ممارستها. كما أنّ الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين للمشاهد الحية، في حين تختلف مستويات الفهم للأقوال والألفاظ وتتفاوت.

٤- تربية المتربين بالقدوة العمليّة وغرس القيم في نفوسهم وتعليمهم السلوك الحسن بالمثال الحي يرسخ ويثبت في شخصياتهم فلا ينسونه بسهولة، وعلى قدر التزام الآباء والمربين بما يعلّمونه لأبنائهم وتلاميذهم

(١) النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط١، ١٣٩٩هـ، ص: ٢٢٨- ٢٣٥. و موسى، مصطفى إسماعيل: تدريس التربية الإسلامية للمبتدئين، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ص: ١٤٨ – ١٤٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وصدقهم فيه يكون التزامهم، أمّا إذا لم تتوافق أفعالهم مع أقوالهم فإنّ هذه النصائح ما تلبث أن تزلّ عن قلوب الأبناء كما يزلّ القطر عن السطح الأملس.

٥- القدوة العمليّة الحسنة والتحلّي بالفضائل من قبل المربين يعطي المتربين قناعة بأهميّة الأمر، ويعزز في نفوسهم إمكانية تنفيذه وتحقيقه. كما أنّ التطبيق العملي الحيّ أمامهم يعدّ من أيسر الطرق في توصيل المفاهيم والمعاني التي يريد الوالدان إيصالها للمتربين؛ لأنه يثير في نفوسهم استحسان ما يرونه أمامهم وبالتالي محبّته؛ ممّا يدعوهم إلى تطبيقه، فالقدوة العمليّة - في الحقيقة - وسيلة تحفيز وحثّ للأبناء للتحلّي بالفضائل والمكارم.

الفائدة الرابعة: أهمية حفظ السر:

مما ينبغي أن يحرص المربي على تأصيله في نفوس المتربين حفظ السر الذي يترتب على حفظه مصالح خاصة أو عامة؛ لأن حفظ السر أمانة، وإفشاءه خيانة، وذلك المعنى يجب تأصيله في نفوس أبنائنا وكل من لهم في أعناقنا حق التربية والتوجيه.

وشاهد ذلك قول كعب عن رسول الله ﷺ: **"ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة؛ فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم؛ فأخبرهم بوجهه الذي يريد".**

وهكذا يغرس في نفوس المتربين خلق حفظ الأسرار التي لا مصلحة في إفشائها، سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو مكان العمل أو غير ذلك...كما أن استعمال السرية والكتمان في غير المصلحة لا يجوز؛ ولذلك أخبرهم رسول الله ﷺ بوجهته في هذه الغزوة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولابن الجوزي كلاماً تربوياً دقيقاً في حفظ السر يحسن إيراده هنا بطوله، حيث قال: "**رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به. فوا عجباً كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً ثم لاموا من أفشاه! وفي الحديث: ((استعينوا على قضاء أموركم بالكتمان)).**

ولعمري إن النفس يصعب عليها كتم الشيء، وترى بإفشائه راحة، خصوصاً إذا كان مرضاً أو هماً أو عشقاً، وهذه الأشياء في إفشائها قريبة، إنما اللازم كتمانه احتيال المحتال فيما يريد أن يحصل به غرضاً؛ فإن من سوء التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه، فإنه إذا ظهر بطل ما يريد أن يفعل، ولا عذر لمن أفشى هذا النوع. وقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزواً ورى بغيره... ورب مفش سره إلى زوجة أو صديق فيصير بذلك رهيناً عنده، ولا يتجاسر أن يطلق الزوجة، ولا أن يهجر الصديق، مخافة أن يظهر سره القبيح. فالحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق صدره بسره. فإن فارقته امرأة أو صديق أو خادم لم يقدر أحد منهم أن يقول فيه ما يكره.[1]

الفائدة الخامسة: المبادرة إلى الإنجاز وترك التسويف:

ينبغي تربية المتربين على المبادرة إلى الطاعات، وإنجاز الأعمال في أوقاتها، دون المماطلة والتسويف.

وشاهد ذلك قول كعب بن مالك: "**وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ**

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين: صيد الخاطر، تحقيق: ناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، (٢/٣٦٤-٣٦٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جَهَازِي شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِى حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي".

ومما يمكن استفادته تربوياً من هذا الكلام: أن التسويف يكون بتأخير وتأجيل تنفيذ عمل ما دون مسوّغ أو عذر حقيقي مقبول.

والتسويف يؤدي إلى عدم تحقيق النجاح المنشود ، والندم في وقت لا ينفع فيه ندم، فالمسوّف – بلا شك – يفوّت على نفسه الكثير من الفرص، فالفرصة إذا أتت ولم تغتنمها في وقتها الصحيح؛ فإنها لن تعود ثانية في الغالب الأعمّ. كما يؤدي التسويف إلى تراكم الأعمال مما يؤدي إلى استحالة أدائها وإنجازها في الأوقات المحددة سلفاً، مما يصيب المسوّف بالإحباط، ومن ثم اللجوء إلى المزيد من التسويف الذي يؤدي به في النهاية إلى عدم الإنجاز، وبالتالي حصد الإخفاق. فالطالب الذي يهمل في مذاكرة دروس اليوم، ويلجأ إلى التسويف.. ويقول في نفسه: سوف أذاكر غداً، ويأتي الغد ليكرر نفس الوعد الذي لن يتحقق - سوف أذاكر غداً - وهكذا إلى أن يفاجأ بدخول موعد الاختبارات، وهو لم يحصل من دروسه الشيء الذي يمكنه من النجاح فضلاً عن تحقيق التفوّق..!

وللتسويف العديد من الأسباب.. أهمها:

١. دور الأسرة في تأصيل آفة التسويف في نفوس أبنائها ، فنرى العديد من الأسر تفكر في إنجاز عمل، وتحدد وقت تنفيذه، وسرعان ما تلجأ إلى التسويف وتأجيل تنفيذه دون عذر قهري، أو عذر مقبول، فيتعود الأطفال ذلك الخلق السيئ.

٢. دور الأصدقاء، فصحبة الكسالى والمسوّفين تؤثر بلا شك في تشكيل وتأصيل هذه الآفة في نفس الصديق؛ ولذا ينبغي على المتربي

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اختيار الصحبة الصالحة المجدّة.

٣. ضعف الإرادة والتراخي مع النفس.. فضعف الإرادة، وفتور الهمة، وخوار العزيمة، والتهاون مع النفس وعدم أخذها بالحزم والحسم، كل هذا من الأسباب القوية التي تؤدي بل وتؤصل في النفس آفة التسويف، ومن ثم القعود عن العمل بحجة أنه ما زال في الغد فرصة.. بل فرص..!

٤. طول الأمل، ونسيان الموت.

ومن الوسائل التربوية لعلاج هذه الآفة ما يلي:

١. أن نغرس في نفوس المتربين الحزم والمبادرة في إنجاز الأعمال والمهام إذا حضرت فرصتها أو حان وقتها، قال ابن القيم[(١)]: "**إن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها، والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها والتسويف بها، ولاسيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت، والله سبحانه يعاقب من فتح له باباً من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له**".

٢. التعامل مع المتربي بذكاء.. كأن نضع له برنامجاً ممتعاً عقب إنجاز عمل شاق؛ فإن رغبته في الاستمتاع بهذا البرنامج الممتع قد تدفعه إلى إنجاز العمل الشاق وإنهائه في موعده المحدد.. أي تدفعه رغبة الاستمتاع إلى عدم اللجوء إلى التسويف.

٣. أن نأصّل في نفسه أن لكل عمل وقته الخاص به.. فلا يصح تأجيل

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، (٥٠١/٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عمل اليوم إلى الغد، أو استجلاب عمل الغد إلى اليوم إن كانت هناك خطة زمنية معدة سلفاً، ومحددة الأوقات الخاصة بإنجاز الأعمال.

٤. أن ندرّب المتربي على التخطيط الصحيح والفعّال، والذي يحدد فيه غاياته وأهدافه تحديداً واضحاً، فضلاً عن تحديد وسائل تنفيذ هذه الأهداف؛ لأن المسوّف يعمل - إن عمل - بشكل ارتجالي وشمولي، فهو بعيد عن التخطيط الصحيح والتنظيم الفعّال.

٥. أن نرسخ في ذهن المتربي أن المهم هو إنجاز العمل المحدد طبقاً للأهداف المحددة، وبالجودة المطلوبة، بعيداً عن المثاليات؛ فقد يكون طلبها أحد أسباب تأجيل العمل، ومن ثم عدم إنجازه.

٦. أن يلجأ المتربي دائماً إلى الله راجياً منه سبحانه أن يجنّبه التسويف الذي يورث العجز والكسل، والضعف، والركون إلى الراحة.

الفائدة السادسة: تربية النشء على الزهد وعدم الركون إلى الدعة والراحة.

ومما يستفاد من هذه القصة أن الركون إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة هو أساس كل بلية، وشاهد ذلك قول كعب بن مالك: "**وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر**" أي أميل.

والزهد الذي حث عليه الدين الحنيف هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، فيتحكم بها وليس العكس، وليس الزهد إعراضاً عن الدنيا في كل الحالات، ولا إهداراً لقيمة المال الذي هو جزء أساسي من مقومات الحياة الاقتصادية للأمة، وهو أيضاً ليس انسحاباً من المجتمع، وإقبالاً على الخلوات والزوايا وحبس النفس فيها، فذاك زهد النصارى لا المسلمين، ورد عن سفيان الثوري أنه قال: "**ليس الزهد في الدنيا بلبس**

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الغليظ والخشن، وأكل الجشب - أي الطعام الغليظ - إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل"[(١)]، والمقصود بقصر الأمل هنا أن يكون الإنسان واقعياً في سلوكه، وأن ينهض بمسؤولياته الكاملة تجاه الخالق والمخلوقين، فالعمر قصير، والطموحات الكبيرة للإنسان في التوسع والزيادة من حطام الدنيا قد تشغله عن واجباته الأساسية المنوطة به، فيمضي قطار العمر وقد فاته أن ينجز الكثير في الجانب الروحي والحقل الاجتماعي المتمثل في رعاية مصالح العباد.

ويعتبر الزهد في الدنيا والاستعلاء على كثير من شهواتها الجذابة، وإغراءاتها الكثيرة أحد العوامل التي تقوي الإرادة، وتمنح الثقة بالنفس، والأمل بالمستقبل، وقد اعتمدت عليه الأديان جميعاً في سعيها إلى تهذيب السلوك الإنساني، وتربية النفس الإنسانية على القيم الإنسانية العليا من المحبة، والإيثار، والصبر، ونحو ذلك.

والتربية السليمة هي التي تمنح الإنسان القدرة على الثبات في المواقف الصعبة التي يتعرض لها في حياته، وتحول بينه وبين اليأس من جهة، وبينه وبين الجريمة والعدوان من جهة أخرى، وأما في حالة الرخاء، فهي تزوده بقدر من الإرادة يحفظه من الاستسلام لشهواته، وفقدانه لإنسانيته.

ولذا فإن من الأساليب الخاطئة في التربية استعمال أسلوب التدليل التربوي مع المتربين، ويتمثل هذا الأسلوب في التراخي والتهاون في معاملة الطفل، وإشباع حاجاته كلها في الوقت الذي يُريده هو وكيفما يُريده، وتجنيد كل من حوله وجعلهم رهن إشارته يعملون لإرضائه، وأهمّ من ذلك

(١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، (٣٨٦/٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السعي لتجنيبه كل أنواع التعب والمشقة ولو كانت فيها مصلحته.

وتطبيق الأهل لأسلوب التدليل التربوي يؤدي إلى تأخر في النضج الانفعالي والاجتماعي للطفل، فهولا يستطيع الشعور بالمسؤولية، ولا يُقدرها، ولا يُقاوم المشكلات الحياتية، ولا يستطيع مجابهة حالات الإحباط، فهو دائماً عرضة للاضطرابات النفسية عندما تقف في سبيله عقبة أو مشكلة، ويغلب عليه الاعتماد على الغير، مع ضعف الاعتماد على النفس. ويلجأ إلى أسلوب تجنب المشاكل، أو المخاطر، أو تأجيل الحلول وإهمالها.(١)

الفائدة السابعة: تفقد أحوال المتربين والسؤال عنهم.

ينبغي على المربي والإمام والمطاع أن لا يهمل أحداً من المتربين أو الرعية، لاسيما من صدر منه مخالفة أو تقصيراً، بل يذكُرُه، ويُذَكِّرُه؛ ليراجع الطاعة ويتوب.

ويدل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بتبوك: "**ما فعل كعب بن مالك؟**"

قال الخطيب البغدادي في ذكر آداب المعلم وواجباته: "**وينبغي أن يتفقدهم ويسأل عمن غاب منهم**".(٢)

وهذا التفقد لأحوال المتربين يؤدي إلى التفاعل التربوي، ويقصد به حدوث اقتناع وتجاوب نفسي بين طرفي العملية التربوية (المربي والمتربي) يؤدي لاستجابة الطرف الثاني المعرفية والسلوكية للطرف الأول والتأثر به.

---

(١) بدوي، يوسف، وآخر: تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، ط١، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط١، د. ت. (٨١٩/٢).

(٢) البغدادي، الخطيب: كتاب الفقيه والمتفقه، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، مكتبة أنس بن مالك، ١٤٠٠هـ، (١١٩/٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويمثل التفاعل التربوي عنصراً مهماً في العملية التربوية، حيث يعكس العمق والحيوية التي تكتسبها المعلومات والخبرات المنقولة للمتعلم، ويعكس المدى البعيد لأثر المتربي استيعاباً وتطبيقاً، هذا إضافة إلى الإسراع في العملية التربوية.

والمربون من آباء ومعلمين ودعاة وغيرهم يعانون - في كثير من الأحيان - من عدم القدرة على التأثير في أولادهم أو طلابهم أو مدعويهم ومن عدم استجابتهم، بل إنهم - أحياناً - يعاندون ويعرضون ويحولون بين المربي والتأثير فيهم. ومن أهم الركائز لمعالجة هذه الشكوى حرص المربي على التفاعل مع المتربي، واهتمامه لإقامة علاقة جيدة معه، وهذه أول خطوة جوهرية في طريق التأثير،[1] ومن أهم الوسائل لإيجاد هذا التفاعل تفقد الغائبين والسؤال عنهم، وإشعارهم بافتقادهم والحرص عليهم.

وإذا نجح المربي في توثيق هذه العلاقة التفاعلية بينه وبين المتربي، سيجد المتربي أنه لا يستطيع فراق الوسط التربوي وإذا فارقه لأي سبب كان أحرص الناس على العودة إليه..وسيجد أن نفسه لن تطمئن إلا إذا عاد إلى الوسط كالسمكة إذا أخرجت من الماء. وأكبر عقوبة يمكن أن يتلقاها الفرد في هذه الحالة أن يطلب منه عدم الحضور يوماً واحداً أو أكثر، وسيبذل الغالي والنفيس في إلغاء مثل هذه العقوبات؛ وذلك لما وجده من حلاوة الإيمان والحب في الله والعلم والنفع التربوي الكبير.

الفائدة الثامنة: من صفات المربي الناجح، الذكاء والفطنة.

فالمربّي يجب أن يكون فطناً ذكياً، يفهم تصرفات الطلاب فهماً صحيحاً، ولا يعتمد فقط على ملامح الوجه؛ لأنها لا تدل على حقيقة

(١) النغيمشي، عبدالعزيز بن محمد، التفاعل التربوي، موقع المسلم، | ١٤٢٤/٤/٨/

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحال، فهاهو النبي صلى الله عليه وسلم يقابل سلام كعب بتبسم المغضب، قال ابن القيم[١]: "**إن التبسم قد يكون عن الغضب كما يكون عن التعجب والسرور، فإنّ كلاً منها يوجب انبساط دم القلب وثورانه، ولهذا تظهر حمرة الوجه لسرعة ثوران دم الوجه فيه، فينشأ عن ذلك السرور، والغضب تعجب يتبعه ضحك وتبسم، فلا يغتر المغتر بضحك القادر عليه في وجهه ولاسيما عند المعتبة؛ كما قيل:**

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث مبتسم"

وكذلك من ملامح الوجه التي لا تدل على حقيقة البكاء، لقوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف: ١٦]، قال ابن العربي: "**قال علماؤنا: هذا يدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله؛ لاحتمال أن يكون تصنعاً، ومن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر، وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى، كما قال الحكيم:**

إذا اشتكيت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

والأصح عندي: أن الأمر مشتبه، وأن من الخلق في الأكثر من يقدر من التطبع على ما يشبه الطبع[٢]".

ويستفاد مما سبق أن الذكاء من أهم الصفات التي يحتاج إليها المدرس، كما يحتاج إلى العقل المرن، وبعد النظر، وتنويع الأساليب لأصناف الناس، كما يحتاج إلى تفهم نفسيات المخاطبين وعقولهم وواقعهم، ومستوياتهم الخلفية واتجاهاتهم.

فالمعلم في أي مرحلة من مراحل التعليم لابد أن يكون على مرتبة

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٧٥/٣-٥٧٦.

(٢) ابن العربي، أبو بكر: أحكام القرآن، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د. ت. (١٠٧٥/٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقبولة من الذكاء؛ ليتمكن من توصيل المعلومات لطلابه من أيسر السبل وأفضلها، وإن ذكاءه كفيل بأن يبقي احترام طلابه له، ويُنقِذه من كثير من المواقف المحرجة، ويساعده على ترتيب المعلومات.

الفائدة التاسعة: العتاب وأثره في التربية:

إن العتاب من الوسائل التربوية التي تستعمل مع من نحبهم ونحترمهم، ومن الفوائد التربوية المستفادة من قصة كعب بن مالك: "معاتبة الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه، فإنه عاتب الثلاثة دون سائر من تخلف عنه، وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه والسرور به، فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه! ولله ما كان أحلى ذلك العتاب! وما أعظم ثمرته! وأجل فائدته! ولله ما نال به الثلاثة من أنواع المسرات وحلاوة الرضى وخلع القبول!."[(١)]

إن هذا العتاب تربية وتزكية لتطهير النفوس من أدرانها، وتنقيتها من سخائمها، وتقويم اعوجاجها، وإن العتاب دليل على الحب، والله تعالى عاتب أحب الخلق إليه محمداً صلى الله عليه وسلم لمجرد أنه عبس في وجه ابن أم مكتوم..ولأن العتاب وسيلة تربوية فعالة في علاج أخطاء من نحب، إلا أن كثرته قد تأتي بنتيجة عكسية، وأيضاً إذا أُستخدم في غير وقته؛ ولذلك ينبغي على المربي أن يبحث عن الأساليب التربوية الجيدة لعتاب ناجح تربوياً.

الفائدة العاشرة: غرس خلق الصدق في نفوس المتربين:

غرس شجرة الصدق يقتلع الكثير من الأخلاق السيئة من نفوس أولادنا، بل ويساعدنا على غرس الكثير من الأخلاق الطيبة فيهم،

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٧٦/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فالصدق بداية سلسلة الأخلاق الحسنة، والكذب هو بداية سلسلة الأخلاق السيئة، وليس هذا مبالغة، ولكنها وصية نبوية خالدة **(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)**[(١)].

فالتوفيق حليف الصدق وقرينه، قال ابن قيم الجوزية[(٢)]: "**توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاؤوا به من الصدق، ولم يخذلهم حتى كذبوا واعتذروا بغير الحق فصلحت عاجلتهم وفسدت عاقبتهم كل الفساد. والصادقون تعبوا في العاجلة بعض التعب، فأعقبهم صلاح العاقبة والفلاح كل الفلاح، وعلى هذا قامت الدنيا والآخرة، فمرارات المبادي حلاوات في العواقب وحلاوات المبادي مرارات في العواقب**".

وقال ـ رحمه الله ـ[(٣)] في بيان أهمية هذا الخلق وضرورة غرسه في نفوس المتربين: "**عظم مقدار الصدق وتعليق سعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وهو

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، رقم الحديث: (٥٧٤٣)، والنيسابوري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق، رقم الحديث: (٢٦٠٧).

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٧٦/٣.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: المرجع السابق، ٥٩٠/٣-٥٩١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تقسيم حاصر مطرد منعكس، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب.

وأخبر سبحانه وتعالى: أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم، وجعل علم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم، فجميع ما نعاه عليهم أصله الكذب في القول والفعل، فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه بل هو لبه وروحه، والكذب: بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه ويستقر موضعه، والله سبحانه أنجى الثلاثة بصدقهم وأهلك غيرهم من المخلفين بكذبهم، فما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته، ولا ابتلاه ببلية أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده والله المستعان".

الفائدة الحادية عشرة: المشاركة الوجدانية وأثرها في التربية:

المشاركة في الأفراح تجعلها مضاعفة، والمواساة في المصائب تكسر حدتها، والمصيبة إذا عمت خفت، فالمشاركة الوجدانية لأهل الحق نوع من المؤازرة، والإنسان في محنته يتفقد أنصاره ويلتمس أعوانه فإن وجد منهم التألم لما يصيبه، وهم لا يقدرون على غيره سلت نفسه، وخفت عليه آلامه، ووجد في تلك المشاركة العزاء الجميل.

قال ابن القيم:[1] **"وقول كعب: هل لقي هذا معي أحد؟ فقالوا: نعم مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.**

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٠١/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيه: أن الرجل ينبغي له أن يرد حر المصيبة بروح التأسي بمن لقي مثل ما لقي.

وقد أرشد سبحانه إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء: ١٠٤]، **وهذا هو الروح الذي منعه الله سبحانه أهل النار فيها بقوله:** ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٩]".

وقال أيضاً: "**ولما كان المصاب إذا شاركه غيره في مصيبة حصل بالتأسي نوع تخفيف وتسلية. وإن كانت المصائب في الدنيا إذا عمت صارت مسلاة، كما قالت الخنساء في أخيها صخر:**

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق عيشتي وورود رمسي

فمنع الله سبحانه هذا القدر من الراحة على أهل النار، كما مر في آية الزخرف آنفاً[1]".

والمشاركة الوجدانية داخل البيئة التربوية كفيلة بأن تقود سفينتها إلى بر الأمان والاطمئنان والاستقرار، وتحقيق الأهداف المنشودة، ومن أهمّ أسباب ترسيخ المودة بين المربي والمتربي المشاركة العاطفية والوجدانية، التي إن لم يتشبع بها الجو التربوي فقد المحبة والتعاون، وحل محلهما الكراهية والتنافر، وهذا هو الخراب الحقيقي للبيئة التربوية.

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار الكتب العلمية – بيروت، (٦٤-٦٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الفائدة الثانية عشرة: المقاطعة أسلوب من أساليب التربية:

المقاطعة التربوية نوع من الهجر الشرعي، "وهي طريقة تربوية تستخدمها الجماعة الواعية لتربية وإصلاح أفراد شذوا عن السلوك السليم، أو اقترفوا أخطاء اجتماعية كبرى لإعادتهم إلى سواء السبيل. وتتجلى مظاهر هذه المقاطعة بعدم التكلم، وعدم التزاوج، وأحياناً بعدم التعامل الاقتصادي، وعدم التجاوب الاجتماعي، وعدم المصاهرة أيضاً.."[(١)]

يتضح من خلال ما سبق أن المقاطعة تبدأ من المجتمع، حيث يُحرم المهجور من المشاركة الوجدانية والاجتماعية مع أفراد مجتمعه والتفاعل معهم وممارسة حقوقه الاجتماعية في حياته اليومية، ولعل حرمان المهجور من ممارسة الحقوق الاجتماعية التي عليه ومنع الناس من بذل الحقوق الاجتماعية التي له؛ يترك أثراً نفسياً واجتماعياً واضحاً على المهجور.

ويحدثنا كعب بن مالك عن الآلام النفسية المبرحة التي عاناها وصاحبيه نتيجة المقاطعة التربوية التي فرضها الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وبلغت من المدة خمسين يوماً فيقول: "**... فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ - أوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا - حَتَّى تَنَكَّرَتْ لي في نَفْسي الأَرْض، فَمَا هِيَ بالأرْضِ الَّتي أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأمّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانا وقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا يَبْكيَان. وأمَّا أنَا فَكُنْتُ أشَبَّ الْقَومِ وأجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أخْرُجُ فَأشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وأطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ في نَفسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْه بردِّ السَّلام أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي نَظَرَ إلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَال**

(١) الهاشمي، عبد الحميد: الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (ص: ٣٦٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ذلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِط أبي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ فَوَاللّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ باللّه هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللّه وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينة إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّام مِمّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتباً. فَقَرَأْتُهُ فإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّهُ بدَارِ هَوانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيضاً مِنَ البَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ اللّه ﷺ يَأتِيني، فَقَالَ: إنَّ رسولَ اللّه ﷺ يَأمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أمْ مَاذَا أفْعَلُ؟ فَقالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلاَ تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بأَهْلِكِ فَكُوني عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللّهُ فِي هَذَا الأمْرِ".

والمقاطعة التربوية أسلوب تربوي يستخدم لعلاج الانحراف عند الناشئ، وهو دواء كجميع الأدوية، إذا زاد عن حده كان له مفعول عكسي على الناشئ، قال ابن القيم:[1] "**وفيه دليل أيضاً على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه**".

(١) ابن قيم الجوزية، محمدبن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، (٥٧٨/٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمقاطعة التربوية نوع من العقاب النفسي المعنوي، "والعقاب النفسي يؤثر في التلميذ تأثيراً بالغاً، لا يبلغه تأثير أي عقاب بدني، فالتلميذ الذي ينتخب لمراقبة حجرة الدراسة، ثم يرتكب ما لا يتفق وشعار المدرسة فيفصل، وينتخب آخر لرئاسة الفصل، يؤثر فيه هذا النوع من العقاب النفسي تأثيراً نفسياً شديداً، ويودّ أن تعود إليه ثقة زملائه".[١]

الفائدة الثالثة عشرة: الابتلاء والتمحيص:

إن طهارة النفوس وتزكيتها من الرذائل والنقائص من عوامل الوقاية من المشكلات الاجتماعية والنفسية، ومنهج لمواجهتها، وهذا التطهير والتزكية تكون بالابتلاء والتمحيص، وقد ظهرت في قصة كعب بن مالك تلك التربية الإيمانية القوية التي ربى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، مما جعلهم مهيئين لمواجهة المشكلات والأزمات، قال ابن قيم الجوزية[٢]: "**وفي مكاتبة ملك غسان له بالمصير إليه ابتلاء من الله تعالى، وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله، وإظهار للصحابة أنه ليس ممن ضعف إيمانه بهجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين له، ولا هو ممن تحمله الرغبة في الجاه والملك مع هجران الرسول والمؤمنين له على مفارقة دينه، فهذا فيه تبرئة الله له من النفاق وإظهار قوة إيمانه، وصدقه لرسوله وللمسلمين ما هو تمام نعمة الله عليه، ولطفه به وجبره لكسره.**

وهذا البلاء يُظهر لُبَّ الرجل وسره، وما ينطوي عليه؛ فهو كالكير الذي يخرج الخبيث من الطيب."

والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز، التمحيص عملية تتم في داخل

(١) الأبراشي، محمد عطية: التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتاب الحديث، الكويت، د. ت، (ص: ١٤٦).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٨١/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النفس، وفي مكنون الضمير، إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية، وتسليط الضوء على هذه المكنونات، تمهيدًا لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق بلا غبش ولا ضباب، وكثيرًا ما يجهل الإنسان نفسه ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرًا ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكن فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير.

ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة والتجرد والخلاص من الشح والحرص، ثم إذا هو يكشف على ضوء التجربة العملية، وفي مواجهة الأحداث الواقعية أن في نفسه عقابيل لم تمحّص، وأنه لم يتهيأ لمثل هذا المستوى من الضغوط، ومن الخير أن يعلم هذا من نفسه، ليعاود المحاولة في سبكها من جديد، على مستوى الضغوط التي تقتضيها طبيعة هذه الدعوة، وعلى مستوى التكاليف التي تقتضيها هذه العقيدة[1]

ولذا ينبغي أن يحرص المربّي على غرس مبادئ الإيمان الصحيحة في نفوس المتربين، وتنمية التربية الروحية السليمة في قلوبهم، مما يجعلهم قادرين على مواجهة الأزمات والمشكلات التي تعترض طريقهم نحو تحقيق أهداف التربية الإسلامية في شخصياتهم وفي مجتمعاتهم.

الفائدة الرابعة عشرة: المكافأة وأهميتها التربوية:

قال ابن قيم الجوزية:[2] "**وفي نزع كعب ثوبيه وإعطائهما للبشير، دليل على أن إعطاء المبشرين من مكارم الأخلاق والشيم، وعادة الأشراف، وقد أعتق العباس غلامه لما بشره أن عند الحجاج بن علاط من الخبر عن رسول**

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٩، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، (١ - ٤٨٢ ٤٨٣).

(٢) ابن القيم، محمدبن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٨٥/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله صلى الله عليه وسلم ما يسره. وفيه دليل على جواز إعطاء البشير جميع ثيابه. وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية، والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته، فهذه سنة مستحبة، وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية، وأن الأولى أن يقال له: ليهنك ما أعطاك الله، وما منّ الله به عليك، ونحو هذا الكلام، فإن فيه تولية النعمة ربها والدعاء لمن نالها بالتهني بها".

وفي الميدان التربوي عندما نحاول أن نغرس العادات الطيبة لابد من مكافأة الطفل على إحسانه؛ ليثبت في نفسه جانباً من الارتياح الوجداني.

والثواب قد يكون مادياً ملموساً كإعطاء الطفل لعبة، أو حلوى أو نقوداً أو غير ذلك، وقد يكون معنوياً يفرح له كالمدح والابتسام، والاعتزاز بالطفل لعمله الطيب أمام الناس. إلا أن عدم الغلو في المدح أدب إسلامي، فلا يكثر المربي من عبارات الاستحسان حتى لا يدخل الغرور في نفس الطفل. كما أنه لا يجعل الثواب المادي هو الأساس، لما لذلك من أثر سيئ على نفسية الطفل مستقبلاً، وإنما يوازي بين الثواب المادي والثواب المعنوي.

الفائدة الخامسة عشرة: الشفقة والرحمة بالمتربي:

قال كعب بن مالك: "**فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وهو يبرق وجهه من السرور، ويقول: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك... وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك**".

قال ابن قيم الجوزية:[1] "**وفي سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وفرحه به، واستنارة وجهه، دليل على ما جعل الله فيه من كمال**

(١) ابن القيم، محمد بن أبكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٨٥/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشفقة على الأمة والرحمة بهم والرأفة، حتى لعل فرحه كان أعظم من فرح كعب وصاحبيه".

فالرحمة والشفقة، والرفق والهدوء قد تطول بها الطريق للوصول إلى قلوب المتربين، ولكنه الطريق الآمن والأكيد، وفي ذلك نجد التوجيه الإلهي التربوي للرسول المربي الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهذه آية شاملة لأهم الخصائص النفسية في شخصية المربي: الرحمة اللينة الواعية بدل الشدة أو الغلظة التي تحطم العلاقات السوية الإيجابية. وحتى إذا سبق من المتربي خطيئة فعلى العلاقات المتبادلة أن تظل قوية، وقوتها إنما تفد من العفو والسماح. ثم لا بد من إشعار المتربي بكرامته وشخصيته وأهميته؛ لأن المرء لا يتعلم إلا إذا أحبّ معلمه، وعلاقات المحبة إنما تبدو سعيدة بالاحترام المتبادل.(١)

الفائدة السادسة عشرة: خطورة المعاصي على المتربي.

ومما يستفاد تربوياً من قصة كعب بن مالك عظم ضرر المعاصي والذنوب وخطورتها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله(٢): "**وفيها عظم أمر المعصية**، وقد نبه الحسن البصري على ذلك، فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: **يا سبحان الله! ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر!؟**".

(١) الهاشمي، عبد الحميد: الرسول العربي المربي، ص: ١٩١.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م، (١٢٣/٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وينبغي أن ينبَّه المتربي على الآثار العظيمة، والأضرار البليغة لشؤم المعاصي في الدنيا والآخرة، ومنها أضرار نفسية وتربوية وجسمية وغير ذلك، فمن الأضرار التربوية تأثيرها السلبي في التحصيل العلمي للمتربي، قال ابن القيم:[(١)] **"وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه الا الله. فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية، وقال الشافعي:**

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

الفائدة السابعة عشرة: مراعاة الفروق الفردية في التربية.

الفروق الفردية ظاهرة عامة في جميع الكائنات العضوية، وهي سنة من سنن الله في خلقه، فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم، فلا يوجد فردان متشابهان في استجابة كل منهما لموقف واحد، وهذا الاختلاف والتمايز بين الأفراد أعطى الحياة معنى، وجعل للفروق الفردية أهمية في تحديد وظائف الأفراد، وهذا يعني أنه لو تساوى جميع الأفراد في نسبة الذكاء - على سبيل المثال - فلن يصبح الذكاء حينذاك صفة تميز فرداً عن آخر، وبذا لا يصلح جميع الأفراد إلا لمهنة واحدة.

والاهتمام بمراحل النموّ التي يمرّ بها الإنسان وخصائص كل مرحلة

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: الداء والدواء، ٣٤/١. وقد ذكر ابن القيم في هذا الكتاب أضراراً كبيرة، وآثاراً وخيمة للمعاصي، يحسن الاطلاع على الصفحة المذكورة من الكتاب فما بعدها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ليست من نتاج الدراسات الحديثة، أو الدراسات الغربية، كما يتصوره بعض الناس[١]، فهذا كعب بن مالك يذكر لنا خاصية من خصائص مرحلة المراهقة والفتوة، فقال: "**فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق**".

وتشير الدراسات الحديثة إلى أنه "يصل إنتاج الفرد في هذه المرحلة إلى ذروته، ويصل الفرد إلى تمام نضجه، وتعتبر هذه المرحلة بحق مرحلة العطاء والتنافس وإرساء قواعد الحياة"[٢]، ويجب على المربي أن يحرص في هذه المرحلة على استثمار هذه القدرات والطاقات نحو مزيد من البذل والعطاء والتنافس في سبيل الخير والصلاح.

كما ذكر كعب بن مالك الفروق الفردية بين الشاب والشيخ بالنسبة لأمور النساء، فقد علل عدم استئذانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر امرأته - كما فعل هلال بن أمية - بأنه شاب، قال كعب: "**فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟**".

فمرحلة الشباب هي مرحلة النضج الجنسي، ويكون الميل الجنسي في أوجه وذروته، بينما في مرحلة الشيخوخة يكون الإنسان قد اكتسب

(١) الحازمي، خالد بن حامد: مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص: ٥.

(٢) البهي، فؤاد: الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م، ص: ٣٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حصانة الاستعفاف بالزواج، كما يضعف لديه الميل الجنسي في أواخر هذه المرحلة؛ ولذلك يعظم الانحراف الجنسي في هذه المرحلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، (قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم) ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر))**.[1] قال النووي رحمه الله[2]: "**سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة، ولا دواعي متعادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مرّ عليه من الزمان وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه، لذلك عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا، ويخلي سره منه، فكيف بالزنى الحرام! وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية، وقلة المعرفة وغلبة الشهوة لضعف العقل وصغر السن**".

الفائدة الثامنة عشرة: إبعاد وسائل الشر عن المتربي:

قال ابن قيم الجوزية[3]: "**وقوله: فتيممت بالصحيفة التنور؛ فيه المبادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين، وأن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره، وهذا كالعصير إذا تخمر، وكالكتاب الذي يخشى منه**

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، رقم الحديث: (١٠٧).

(٢) النووي، يحيى بن شرف الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، (١١٧/٢).

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: زاد المعاد، ٥٠٧/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الضرر والشر، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه".

لذا كان الاعتناء بما يغذي المتربي من معلومات خارجية - بيئية - تساهم في بناء ذاته أمراً ضرورياً وأسلوباً من أساليب حماية الشخصية وتنقيحها.

من هنا كان واجباً على التربية أن تبعد الطفل عن كل ماله تأثير سيئ وضار في نفسه، وأن تحيطه بجو يساعده على النمو السليم، ويحفظه من التعقيد والانحراف، وسواء في المحيط الاجتماعي أو الطبيعي، وذلك لأن للظواهر الطبيعية أثراً فعالاً ومؤثراً في نفسية الطفل، كما للظروف الاجتماعية تأثيرها وبصماتها على شخصيته وعلاقاته.

وفي الختام ما ذكرته من فوائد تربوية في هذا البحث، ما هو إلا غيض من فيض، فالفوائد التربوية في هذه القصة كثيرة جداً ومتنوعة، والله أعلم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة

في ختام هذا البحث أسأل الله عزوجل أن يجعل ما سطرته نافعاً لقارئه، وشافياً لباحثه، وفي الخاتمة أُسطّر أهم النتائج المتوصلة إليها، ومنها:

١. أهمية القصة وأثرها الكبير في ميدان التربية والتعليم.

٢. ضرورة استغلال القصص في غرس القيم التربوية، والعادات الحسنة لدى الناشئة.

٣. أهمية الاعتماد على القصص النبوي؛ وذلك لربط الناشئة بجيل الصحابة رضوان الله عليهم واتخاذهم قدوة في حياتهم.

٤. فضل الصحابة رضوان الله عليهم وجهادهم مع النبي ﷺ يؤكد احترامهم وتقديرهم وعدم الخوض في أشخاصهم لمابدر منهم من أخطاء، أو الطعن في نزاهتهم.

٥. ضرورة الاستفادة من أخطاء الآخرين في تعديل السلوك وتعزيز الأفكار.

و**يوصي** الباحث التربويين والمفكرين بالعمل في استخراج الدروس التربوية من القصص النبوية الأخرى ففيها غنية عن غيرها من القصص المستوردة.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر والمراجع:

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، تحقيق: ناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢. ابن العربي، أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٣. ابن الأثير، ، محمد عبد الواحد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ .

٤. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٨٠هـ .

٦. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، دار صادر، (د. ت).

٧. ابن سيد الناس، محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، دار صادر، بيروت، ط/١٤٠٢هـ.

٨. ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

١٠.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١١.ابن عبد البر، أبو عمر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،دار الكتاب العربي، بيروت،(د. ت).

١٢.أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٣.أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤.أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة (د. ت).

١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٨١م.

١٦.الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٥هـ

١٧.الحافظ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د. ت).

١٨.خالد الحازمي، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٩.الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

٢٠.الخطيب البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، مكتبة أنس بن مالك، ١٤٠٠هـ.

٢١.الزركلي، خيرالدين، الأعلام، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت،(د. ت).

٢٢.سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٩،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٣.عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٤.عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، التفاعل التربوي، موقع المسلم، ١٤٢٤/٤/٨

٢٥.فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م.

٢٦.فودة، حلمي، وآخر، المرشد في كتابة الأبحاث، المكتبة العصرية، ١٤٠٣هـ.

٢٧.محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتاب الحديث، الكويت، د. ت.

٢٨. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى (القرآن)، دار الفكر العربي، ١٣٨٥هـ.

٢٩.مصطفى إسماعيل موسى، تدريس التربية الإسلامية للمبتدئين، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، د. ت.

٣٠.النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط١، ١٣٩٩هـ،

٣١.النووي، شرف الدين يحيى بن زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٢.النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت/محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث –بيروت ١٣٧٤هـ.

٣٣.الهاشمي، محمد عبد الحميد، الإعداد النفسي والتربوي لمدرسي

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التربية الإسلامية وعلومها الدينية، جدة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ

٣٤.الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت)

٣٥.يوسف بدوي وآخر، تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، ط١، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط١، د. ت.

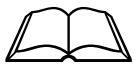

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة